المناهل

تصدرها

وزارة الشؤون الثقافية

الرباط - المغرب

العدد السابع والعشرون
السنة العاشرة

شوال 1403
يوليوز 1983

فهرس

تهنئة المناهل بعيد الشباب

1) شعراء الملحون من أهل مكناس وزرهون
محمـــد الفاســـي 9

2) التطور الحضاري ومظاهره في إقليم الجديدة
عبد العزيز ابن عبد الله 37

3) بيـــن بابيـــن ... !
عبـد العلـي الوزانـي 63

4) الدبلوماسيون المغاربة وانطباعاتهم حول المجتمع الإنجليزي
د. عبـد الهـادي التـازي 93

5) المغرب ودول الخليج عبر التاريخ
محمـــد ابـــن تاويـــت 101

6) مشاركة علماء العربية في مباحث نشأة اللغة
د. صـــلاح الفرطوســـي 112

7) الصناعة التقليدية للآلات الموسيقية .....
عبد العزيز ابن عبد الجليل 130

8) مع أبي سالم العياشي في رحلته إلى المشرق
عبـد القـادر زمامـــة 156

9) الطريق الطويلة (قصة)
محمد زنيبر 169
10) المقاومة الشعبية المغربية للتدخل الأجنبي في بداية القرن السادس الميلادي
محمد مزين 205
11) فلسفة أولا فلسفة، ليس ذاك هو المشكل
فاطمة الجامعي الحبابي 226
12) هواجس ... (شعر)
علي الصقلي 237
12) المفاهيم التقليدية عند الجاحظ
د. حكمة علي الأوسي 241
14) الإسلام والتنمية الاجتماعية
د. محسن عبد الحميد 268
15) وسالت مدامع النور ... (قصة)
أحمد عبد السلام البقالي 294
16) كشف القناع عن وجه تأثير الطبوع في الطباع
أحمد العراقي 319
18) مواطن الخلل والاضطراب في كتاب الأغاني
محمد خير شيخ موسى 338
19) الاعلام الثقافي
المناهل 363

مشاركة علماء العربية في مباحث نشأة اللغة

د. صلاح الفرطوسي
كلية التربية / جامعة بغداد

ما من شك في أن اللغة مظهر لكل نشاط يصدر عن العقل، وهي سلاح نفسي نسيطر به على أفكارنا، لذا يقول ماكس مولر ، لا أفكار بلا كلمات (1). كما أن برگسون يرى أن الذكاء لا يستطيع التحرر من روابط الغريزة إلا باللغة إذ أنها وسيلة التحول من السلوك الغريزي إلى السلوك الذكي. وهي أداة التفكير في المعنى حتى أن فرويد يرى أن الشعور ليس أكثر من نشاط عقلي يرمز إليه برمز بطقي (2). واللغة فوق هذا وعاء لتجارب الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم، وهي ليست هبة من هبات الطبيعة التي قدمتها للإنسان إنما الحاجة إلى الاتصال هي منبع اللغة (3).

1) اللغة في المجتمع 116 و 119 ومناهج البحث في اللغة 10.
2) اللغة في المجتمع 120.
3) اللغة في المجتمع 115 ومناهج البحث في اللغة 9.

من هنا فقد لقي البحث اللغوي عناية خاصة من جمهور كبير من العلماء في شتى أرجاء المعمورة، وفي كل عصور الحضارة الإنسانية وكان من بين بحوث اللغة المهمة التي شغلت أذهان الدارسين منذ القدم وحتى الآن البحث في نشأتها. وقد بذلت في هذا الجانب جهود كبيرة وكان للعقل العربي الإسلامي مساهماته الجادة في هذا الميدان ونحن نهدف من وراء هذا البحث أن نسلط الضوء على هذه الإسهامات في ضوء كل الجهود التي بذلت في هذا الميدان.

واللغة عند ابن جني «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» (4). والملاحظ أن أغلب التعريفات الحديثة للغة يمكن أن تندرج فيه.فسوسير يرى أن اللغة مجموعة من الصور الذهنية التي توجد في عقل جماعة من الجماعات. والتي يمكن أن تخرج إلى الوجود على شكل كلام. والكلام هو ما يحدث من أصوات لغوية صادرة من الإنسان كما أنه يرى أن للغة وجهين : الأول فردي والثاني اجتماعي ولا يمكن تصور أحد هذين الوجهين دون الآخر (5). ويرتضي ابراهيم أنيس التعريف القائل بأن اللغة (نظام عرفي لرموز صوتية يستعملها الناس في الاتصال بعضهم ببعض) (6) إذ أنها تتألف من أشياء مترابطة يحكمها نظام معين في توزيع أصواتها ونماذج محددة في بناء كلماتها كما أن لها عرفا اجتماعيا يحكمها. وأصواتها أوضح مظاهرها (7) كما أنها (منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع تشتمل على عدد من الأنظمة يتألف كل واحد منها من

---

4) الخصائص 1 / 33.

5) أصوات اللغة 16 و في علم اللغة العام 32.

6) اللغة بين القومية والعالمية 11.

7) المصدر السابق 11 ـ 19.

مجموعة من المعاني تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية المعبرة عن هذه المعاني) (8) ولها نظام من الرموز الصوتية قيمته في الاتفاق عليه بين الأطراف التي تتعامل به (9). وأنت تلاحظ حينما تعود إلى تعريف ابن جني للغة أنه قد تضمن أهم عناصرها وذلك بتأكيده على طبيعتها الصوتيـــة ووظيفتهـــا الاجتماعيـــة واختلافهـــا باختـــلاف المجتمعـــات الإنسانية (10).

البحث في نشأة اللغة

على الرغم من أن البحث في نشأة اللغة كاد يتوقف منذ فترة طويلة لوعورته، وخاصة بعد أن وجد العلماء القدامى منهم والمحدثون أن الاستمرار فيه لا يؤدي إلى نتيجة علمية مقبولة من كل الوجوه، ولعل أقدم من اشار إلى الانصراف عنه من علماء المسلمين تاج الدين السبكي (11) وقد رد السيوطي على من ذهب إلى هذا الرأي بقوله : إن في البحث في نشأة اللغة فائدتين : الأولى فقهية والثانية نحوية (12) كما أن أي دارس للغة يجد نفسه مدفوعا للتفكير في نشأتها إذ أنه من القضايا الهامة التي تثار في ذهنه بالإضافة إلى كونه من مسائل فقه اللغة الهامة (13).

ويبدو أن التفكير في نشأة اللغة بدأ منذ مرحلة مبكرة من مراحل الفكر الإنساني فقد تناوله بالبحث عدد من فلاسفة اليونان كما أغرى

---

8) اللغة العربية معناها ومبناها 24.
9) علم اللغة العربية 10.
10) مدخل إلى علم اللغة 10.
11) المزهر 1 / 26 وينظر أيضا في علم اللغة العام 81 وعلم اللغة مقدمة للقارىء العربي 56.
12) الاقتراح 33.
13) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي 55.

بعض الملوك القدماء إذ روى (هيرودوت) أن أحد الفراعنة المصريين أراد البرهنة على أن اللغة المصرية القديمة هي أصل اللغات في العالم وقام من أجل ذلك بتجربة علمية فريدة، فعزل طفلين منذ ولادتهما وكفل لهما الغذاء في صمت تام، ثم انتظر حتى سمعهما ينطقان أول كلمة (14) ولا تهمنا خيبة الأمل التي أصيب بها هذا الفرعون في تجربته وما كان يتوخاه من نتيجة بقدر ما يهمنا أن نشير إلى أن البحث في هذا الميدان من أقدم البحوث التي واكبت الحضارة الإنسانية. فالفرعون المصري أراد أن يبرهن أن اللغة المصرية هي أصل اللغات وأراد أن يبني برهانه على أسس علمية، وهذا يدل على أن البحث في هذا الميدان قطع شوطا بعيدا حتى وصل إلى ما وصل إليه في تلك الفترة.

وقد حاول العلماء بطرق شتى الوصول إلى نظرية مقبولة في هذا الميدان وبذلوا جهودا مضنية فراقبوا لغات القبائل، ودرسوا لغات الإشارة عند بعضها بعد أن وجد (تيلور) أن لها قواعدها كما أن الوقت الذي تستغرقه لا يزيد كثيرا عن الوقت الذي يستغرقه تعبيرنا باللغة الكلامية، كما راقبوا سلوك الحيوانات والطيور (15).

وحاول بعضهم استكشاف بعض أسرار نشأتها الأولى بدراسة النشأة اللغوية عند بعض الأطفال الذين عثر عليهم في الغابات والصحاري غير أن ما توصلوا إليه يدعو إلى خيبة الأمل إذ أن الأطفال بعد انتقالهم إلى البيئات الإنسانية الجديدة ما لبثوا أن نطقوا كما ينطق الناس في مجتمعهم الجديد (16).

---

14) دلالة الألفاظ 13 ـ 14.

15) علم اللغة 81 ـ 96.

16) دلالة الألفاظ 14 ـ 15.

وأنت تقرأ في هذا الجانب من البحث أشياء طريفة. ففي القرن السابع كان عالم سويدي يؤكد لمستمعيه أن الرب في جنة عدن يتكلم السويدية وأن آدم كان يتكلم اللغة الدنيمركية وأن الحية كانت تتكلم الفرنسية. وفي العقد الرابع من القرن العشرين يؤكد عالم تركي أن اللغة التركية هي الأساس الذي اشتقت منه بقية اللغات (17).

والأثر الديني في تفسير نشأة اللغة واضح ليس عند علماء المسلمين فحسب إنما عند غيرهم فذهبوا إلى أنها وحي وإلهام. وكان اعتماد الأوربيين في هذا الشأن على ما جاء في سفر التكوين (والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الإسم الذي يضعه له الإنسان. فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول) (18). ويستدلون أيضا بما جاء في السفر نفسه في قصة بابل من أن الناس حاولوا اتخاذ مدينة عظيمة وبرجا شامخا يطاول السماء. فبلبل الله ألسنتهم وجعلهم فرقا وشيعا لكل فرقة لغتها الخاصة وانتشروا في الأرض وهكذا تعددت لغات البشر. غير أن بعض الباحثين يؤكد أن (بابل) ليست من البلبلة إنما هي (باب إيل أي ، باب الرب) (19). وذهب إلى هذا الاتجاه في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني (هيراكليس) وفي العصر الحديث الأب لامي في كتابه فن الكلام (20).

---

17) دلالة الألفاظ 14 ـ 15.

18) عن علم اللغة 98.

19) دلالة الألفاظ 15.

20) علم اللغة 98 ودلالة الألفاظ 15.

جهود علماء العربية في مباحث نشأة اللغة

أشاد بعض المنصفين من المستشرقين بالجهود الكبيرة التي بذلها علماء العربية وبالإسهامات الجادة التي لم يسبقوا إليها (21) وليس من شك في أن كل تلك الجهود حدثت عقب ظهور الإسلام وبعد أن تحولت العربية إلى لغة دعوة عالمية تتكلم بها شعوب مختلفة (21). وكما اهتم علماء العربية في كثير من مشكلاتها اهتموا اهتماما خاصا بنشأتها ودارت بينهم مناقشات جادة استمرت لقرون عدة. ولأهمية هذا الجانب من البحث أفرد له كل من ابن فارس والسيوطي الباب الأول من كتابيهما الصاجبي والمزهر، وكأنهما أرادا أن يكون فاتحة للبحث في موضوعات علم اللغة وفقهها. كما أفرد له ابن جني بابا من كتابه الخصائص.

ويبدو أن أقدم رأي عربي في أصل نشأة اللغة ما نقل عن ابن عباس إذ قال : إنها وحي وتوقيف من عند الله إذ (علمه الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل) (22) ووافقه مجاهد فروى عنه قوله ان الله سبحانه علم آدم اسم كل شيء وقال غيرهما إنما علمه أسماء الملائكة. وقال آخرون : إنما علمه أسماء ذريته أجمعين (23) مستندين في ذلك على قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها) (24). وقد وافق أحمد بن فارس في كتابه الصاجبي في فقه اللغة ابن عباس فقال : اعلم أن لغة العرب توقيف ودليل ذلك قوله تعالى.. الآية، مشيرا في ذات الوقت إلى ما ذهب إليه ابن عباس. ثم بسط لنا

---

21) في علم اللغة العام 21 وينظر أيضا تاريخ اللغات السامية 215 والعربية 61.
22) الصاجبي 6 وينظر أيضا المزهر 1 / 8 و 1 / 28 والاقتراح 31.
23) المزهر 1 / 8.
24) البقرة 31.

القول في كيفية التعليم إذ أنه لم يتم في مرحلة واحدة إنما علم آدم ما يحتاج إليه من اللغة في زمانه ثم علم الأنبياء من بعده ما شاء الله أن يعلمهم بحسب حاجتهم حتى انتهى الأمر إلى نبينا (ص) (25).

وأنت تلاحظ أن هذه الطائفة من العلماء اعتمدت على مدلول كلمة التعليم الواردة في الآية الكريمة، فتعليم الأسماء من الله وكذلك الأفعال والحروف لأنها أسماء أيضا، وهم يحتجون بأن الله قد ذم قوما اخترعوا أسماء غير توقيفية في قوله (إن هي إلا أسماء سميتموها) (26) ومعنى هذا أن بقية الأسماء توقيفية، كما قالوا : إنه جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى : (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) (27) ثم إنهم ذكروا حججا أخرى منها إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة العرب كما أنه لم يبلغ علمهم أن قوما من العرب في زمان يقارب زمانهم أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه (28) وكانت حجج أصحاب هذا الاتجاه مثار نقاش، وأجيب عنها بأنه (لم لا يجوز أن يكون المراد من تعليم الأسماء الإلهام إلى وضعها ولا يقال : التعليم إيجاد العلم... بل التعليم فعل يترتب عليه العلم ولأجله يقال : علمته فلم يتعلم (29) كما يمكن القول بشأن اختراع أسماء غير توقيفية (انه تعالى ذمهم لأنهم سموا الأصنام آلهة واعتقدوها) (30).

---

25) الصاجي 8

26) النجم 23.

27) الروم 22.

28) المزهر 1 / 10.

29) المصدر السابق 1 / 19.

30) المصدر السابق.

وذهب جمهور من علماء المسلمين إلى أن اللغة مواضعة واصطلاح وذلك (كان يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظا إذا ذكر عرف به مسماه ليمتاز من غيره وليغني بذكره عن احضاره إلى مرآة العين... فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم وقالوا : إنسان، إنسان، إنسان فأي وقت سمع هذا اللفظ علم المراد به هذا الضرب من المخلوقات وإن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك فقالوا : يد، عين، رأس، ونحو ذلك) (31).

ويبدو أن المعتزلة هم أول من قال إن اللغة تواضع واصطلاح لأن اللغات عندهم (لا تدل على مدلولاتها كالدلالة العقلية ولهذا يجوز اختلافها) (32) كما أن اللغة لو كانت توقيفية لتقدمت واسطة البعثة على التوقيت والتقدم باطل إذ لا بد من واسطة بين الله والبشر وهو النبي) (33) وبيان بطلان التقدم قوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) (34).

وكانت آراء أصحاب هذا الاتجاه مثار نقاش أيضا، فبشأن بطلان تقدم واسطة البعثة على التوقيت مثلا قيل : إنه يجوز أن يخلق الله فيهم العلم الضروري بأن الألفاظ وضعت لكذا وكذا) (35) وذهبت طائفة أخرى

---

31) الخصائص 1 / 44.

32) المزهر 1 / 20.

33) المصدر السابق 1 / 18.

34) ابراهيم 4

35) المزهر 1 / 19.

إلى القول بالتوقيف مرة والاصطلاح في أخرى ولم تستطع القطع برأي، ومن هذه الطائفة ، أبو علي الفارسي وأبو الحسن الأخفش (36).

وذهبت طائفة أخرى إلى القول بأن قدرا من اللغة يثبت اصطلاحا وقدرا آخر منها يثبت توقيفا ومن هذه الطائفة أبو إسحاق الإسفراييني وجوز الغزالي الوجهين، ويرى عبد الملك بن عبد الله الجويني الملقب بإمام الحرمين ، أن العقل يجوز في نشأة اللغة التوقيف والاصطلاح (37).

ويلخص فخر الدين الرازي آراء علماء العربية في هذا الجانب بأن (الألفاظ إما أن تدل على المعاني بذواتها أو بوضع الله إياها أو بوضع الناس، أو بكون البعض بوضع الله والباقي بوضع الناس) (38)، وذكر أن عباد بن سليمان هو الذي قال بأن الألفاظ تدل على المعاني بذواتها وقد رد هذا الرأي بأن اللفظ لو دل بالذات لفهم كل واحد منهم كل اللغات (39). ويرى الرازي وأتباعه أن الجانب الاجتماعي هو السبب في وضع الألفاظ أي أنها وضعت بعد أن التقى الإنسان بأخيه ووجد أنه لا يستطيع الاستغناء عنه بجميع حاجياته وأنه لا بد له أن يتعاون مع أخيه ويتعرف به، وهذا لا يتم إلا بوسائل عدة، كالحركات والإشارات والنقوش، وقد وجد أن أفضل الوسائل وأيسرها وأعمها وأفيدها هي الألفاظ التي توضع بإزاء المقاصد إذ أن حروفها (كيفيات تعرض لأصوات عارضة للهواء الخارج بالتنفس الضروري) (40) بدون تكلف كما أن هذه

---

36) الخصائص 1 / 40 ـ 41.
37) المزهر 1 / 21
38) المصدر السابق 1 / 16.
39) المصدر السابق
40) المصدر السابق 1 / 38.

الأصوات موجودة عند الحاجة معدومة عند انتقائها وتصلح لكل شيء بينما الوسائل الأخرى لا تصلح لكل شيء لذلك صارت موضوعة بإزاء المقاصد (41).

ابن جني ونشأة اللغة

وأنت تلحظ حيرة ابن جني في أصل نشأة اللغة في بداية الفصل الذي عقده لهذا الموضوع إذ أنه (محوج إلى فضل تأمل) (42)، فإذا كانت الآية تدل على أنه سبحانه (علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات فكان آدم وولده يتكلمون بها ثم إن ولده تفرقوا في الأرض وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه واضمحل عنه ما سواها) على هذا فإنه (يجب تلقيه باعتقاده والانطواء على القول به) (43) غير أنه لا يستطيع قبول هذا التفسير كما أنه لا يستطيع رفضه لأنه حينما يتأمل اللغة يجد فيها (من الحكمة والدقة والإرهاف) مما يقوي في نفسه الاعتقاد في (كونها توقيفا من الله سبحانه وأنها وحي) (44).

ويرى أن أكثر أهل النظر يقولون : إن أصل اللغة (تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف) (45)، أما الآية فقد تؤول بأنه سبحانه أقدر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة) (46) ومما يقوي عنده هذا الاتجاه ويؤيده ما يشاهده من (اختراعات الصناع لآلات

---

41) المصدر السابق.
42) الخصائص 1 / 40.
43) المصدر السابق 1 / 41.
44) المصدر السابق 1 / 47.
45) المصدر السابق 1 / 40.
46) المصدر السابق 1 / 46.

صنائعهم من الأسماء) (47) مما دفعه إلى تجويز الأمرين معا في باب آخر من أبواب الخصائص (48).

وابن جني صاحب الفضل في ذكر أقدم رأي صوتي يصل إلينا في المصادر العربية في نشأة اللغة وهو (أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء، وشحيـــج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس) (49) ويرى أنه رأي صائب يمكن الأخذ به، ومما يؤسف له أنه لم يصرح باسم قائله ولم ينسبه لأحد وقد حاول الدكتور حسام النعيمي العثور على صاحبه أو من قال به قبل ابن جني إلا أنه لم يوفق بالرغم من الجهد الذي بذله (50) ويبدو أنه من الآراء التي كانت معروفة في زمان ابن جني ولا يعرف مصدرها، إذ أن ابن جني كان حريصا على عزو الآراء لأصحابها أمينا حينما ينقل عن الآخرين (51).

ويؤيد ابن جني أبا الحسن الأخفش في رأيه بشأن نشأة اللغة إذ يرى أنها نشأت في مراحل عدة بحسب الحاجة قال ، (لا بد أن يكون وقع في أول الأمر بعضها ثم احتيج فيما بعد إلى الزيادة عليه لحضور الداعي إليه فزيد فيها شيئا فشيئا) (52) ويرى أن نشأتها الأولى لم تكن تركيبية بالصورة التي عليها الآن، إذ أنها تتكون من الأسماء والأفعال

---

47) المصدر السابق 1 / 45.
48) المصدر السابق 2 / 28
49) المصدر السابق 1 / 46 ـ 47.
50) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني 272.
51) ابن جني النحوي 43 والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني 33.
52) الخصائص 2 / 28 وينظر أيضا الاقتراح 33 ـ 34.

والحروف، وكل قسم من هذه الأقسام لا بد أن يكون قد نشأ في مرحلة معينة ولا يمكن تحديد السابق منها (53).

ويمكن القول أن ابن جني استطاع أن يجمع لنا أهم الآراء في نشأة اللغة حتى زمانه وحجج أصحابها كما أنه لم يتعصب لرأي معين لأنه كأي عالم موضوعي لم يستطع الوصول إلى رأي قاطع في هذه المسألة كما أضاف شيئا جديدا بقي ماثلا حتى العصر الحديث كما سيتبين لنا.

الاتجاهات الحديثة في نشأة اللغة

بالرغم من التطور الذي واكب البحث اللغوي في العصر الحديث لم يستطع العلماء الوصول إلى رأي قاطع في نشأة اللغة. وكل النظريات التي توصل إليها العلماء وجدت من يعارضها ويدحضها بالحجج والبراهين فلم يستطع الباحثون التوصل إلى رأي قاطع يطمئنون إليه. ونحن لا نهدف إلى عرض النظريات لما ورد فيها من معلومات قد تنير لنا سبل الوصول إلى أصل نشأة اللغة. إنما هدفنا أن نتعرف على مدى مشاركة علماء العربية القدماء في هذا الجانب من البحث. وقد ذهبت آراء المحدثين في اتجاهات عدة هي :

الاتجاه الأول

ويرى أصحابه أن أصل نشأة اللغة يعود إلى الإلهام والتوقيف وقد نادى به من المحدثين الأب لامي ودوبونالد (54) وقد تبين لنا فيما سبق وضوح الجهد العربي الإسلامي في هذا الاتجاه.

---

53) الخصائص 2 / 30 ـ 40 وينظر أيضا الاقتراح 34.

54) علم اللغة 7 وانظر أيضا دلالة الألفاظ 16 وفي علم اللغة العام 70 ـ 71.

الاتجاه الثاني

ويذهب أصحابه إلى أن اللغة استحدثت بالاتفاق والتواضع والاصطلاح وممن نادى به من المحدثين آدم سميث وريد ودجلر ستيوارت (55) والجهد العربي الإسلامي واضح فيه أيضا. ولو أنك عدت إلى تعليق ابن جني في شأن ما يراد من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء (56) لوجدت أنه مثال يدعو إلى التأمل فعلا إذ أنك من خلاله سترى أن كثيرا من الألفاظ يمكن أن تستحدث بالتواضع والاصطلاح. وهي التفاتة من هذا العالم الفذ لم يسبقه إليها أحد. ولا شك في أنه لو أعطى هذا الجانب من البحث جهدا أكبر لوفق إلى نتائج قيمة جدا.

الاتجاه الثالث

ويذهب أصحابه إلى أن النشأة الأولى للنطق الإنساني بدأت بعد أن اجتمع الإنسان بأخيه الإنسان وبصورة جماعية وفي أثناء قيامهم بأعمال مشتركة (57) وقد اشار ابن جني في تعريفه للغة إلى أهمية الجانب الاجتماعي وإلى اختلافها باختلاف المجتمعات كما أن الرازي وجماعته تحدثوا بوضوح عن هذا الاتجاه في أثناء حديثهم عن سبب وضع الألفاظ وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

---

55) علم اللغة 98 ـ 99.
56) الخصائص 1 / 45.
57) دلالة الألفاظ 26 ـ 27.

الاتجاه الرابع

ويذهب أصحابه إلى أن اللغة في نشأتها الأولى كانت تقليـدا للأصوات الطبيعيـة التي سمعها الإنسان ثم إنها تطورت وارتقت تبعا لتطور العقلية الإنسانية وارتقائها (58) ويقرر الدكتور وافي أن هذا الاتجاه ذهب إليه (معظم المحدثين من علماء اللغة وعلى رأسهم العلامة وثني، وذهب إلى مثله من قبل هؤلاء كثير من فلاسفة العصور القديمة ومن مؤلفي العرب بالعصور الوسطى) (59) غير أننا لم نجد كما سبقت الإشارة إلى ذلك من تعرض إلى هذا الرأي قبل ابن جني وأشرنا إلى أن بعض الباحثين تتبع الأمر في المصادر المثيرة فلم يعثر على ما يؤيد ما ذهب إليه الدكتور وافي (60) ويرى الدكتور وافي (أن هذه النظرية هي أدنى نظريات هذا البحث إلى الصحة) (61) إلا أن رينان يرى أن هذا الاتجاه يضع الإنسان في مرتبة تالية للحيوان بتقليده له ومحاكاته، كما أن جبرسن يرى أن تلك الأصوات لا دلالة لها عند الحيوان في حين أنها ذات دلالة محددة عند الإنسان (62).

الاتجاه الخامس

ويرى أصحابه أن اللغة نشأت عند الإنسان بسبب غريزة خاصة زود بها كانـت تحمله على التعبير عن مداركه بكلمة خاصة، كما أن غريزة التعبير عن انفعالاته الخاصة من فرح أو غضب أو دهشة أو خوف

---

58) علم اللغة 103 ـ 106 ودلالة الألفاظ 20 ـ 23 وعن اللغة والأدب والنقد 32.

59) علم اللغة 104.

60) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني 271.

61) علم اللغة 105.

62) عن اللغة والأدب والنقد 32 وانظر أيضا في علم اللغة العام 73.

تحمله على القيام بحركات خاصة والنطق بأصوات معينة وهذه الغريزة كانت متحدة عند جميع الناس في طبيعتها ووظائفها وبفضل ذلك إتحدت المفردات عند الجماعات الإنسانية الأولى (63) ومن أشهر من نادى بهذا الاتجاه ماكس مولر معتمدا على بحث في أصول اللغات الهندية الأوربية إذ توصل إلى أن مفردات هذه اللغات ترجع جميعها إلى خمسمائة أصل مشترك وإن هذه الأصول تمثل اللغة الأولى التي انشعبت منها هذه الفصيلة. وتبين له أن هذه الأصول تدل على معان كلية والعلاقة بين أصواتها ودلالاتها علاقة اعتباطية (64) وقد رد هذا الاتجاه لأن الأصول التي ذكرها ماكس مولر تدل على معان كلية. وإدراك المعاني الكلية لا بد أن تتهيأ له عقلية راقية متطورة لا يمكن أن نتصور وجودها في فاتحة النشأة الإنسانية (65).

الاتجاه السادس

ويرى أصحابه أن هناك (صلة وثيقة بين ما ينطق به المرء من أصوات وبين ما يدور في خلده من أفكار، ويرون أن كل أثر خارجي يتأثر به المرء يستلزم النطق ببعض الأصوات. وهذه قوة أو قدرة اختص بها الإنسان منذ الخليقة إلا أنهم يعترفون أن سر هذه القوة لا يزال غامضا) (66) ويقول ابراهيم أنيس إن أكبر ما يوجه إلى هذه الاتجاه من

---

63) علم اللغة 99 ـ 103 ودلالة الألفاظ 23.

64) علم اللغة 100.

65) المصدر السابق 103.

66) دلالة الألفاظ 23.

لقد (أنه بني على أساس غامض وأحاطه أصحابه بالألغاز والسحر مما جعل معظم اللغويين الآن يمرون به مر الكرام) (67).

الاتجاه السابع

ويرى أصحابه (أن هناك ارتباطا طبيعيا بين الكلمة وما تدل عليه ومن هنا فإن العالم الخارجي بكل مظاهره ينعكس في سيكولوجية الإنسان بما يقابله من أصوات يرتبط بها ارتباطا طبيعيا (68) وسبق أن المحنا إلى هذا الرأي وقلنا إن عباد بن سليمان أول من نادى به كما ذكر فخر الدين الرازي. وقد رد لأن اللفظ لو دل بالذات لفهم كل فرد كل اللغات لعدم اختلاف الدلالة الذاتية (69) وهو عين الرد الذي رد به المحدثون هذا الاتجاه (70).

ويرى جبرسن أن كل النظريات التي تناولت نشأة اللغة لا تفسر إلا بعض جوانب النشاط اللغوي. ولا خير في الاعتراف بها على ألا نجعلها أو نجعل أحدها مصدرا وحيدا لنشأة اللغة. ويرى أنه من الضروري لمعرفة أصل نشأة اللغة أن ندرس لغة الطفل في مراحلها المختلفة ولغة القبائل البدائية وتاريخ اللغات (71) وهو بحث يحتاج تفصيله إلى وقفة أخرى.

من كل ما تقدم يتبين لنا مدى الجهد الذي بذله علماء العربية في هذا الجانب من البحث.

بغداد **د. صلاح الفرطوسي**

---

67) المصدر السابق 24.

68) عن اللغة والأدب والنقد 33.

69) المزهر 1 / 16 ـ 47.

70) عن اللغة والأدب والنقد 33.

71) عن اللغة والأدب والنقد 33 وانظر أيضا دلالة الألفاظ 28 ـ 32 وعلم اللغة العام 76 ـ 78.

مصادر البحث ومراجعه

- ابن جني النحوي د. فاضل السامرائي - دار النذير - بغداد 1969 م.
- أصوات اللغة د. عبد الرحمن أيوب - مطبعة دار التأليف - القاهرة 1963 م.
- الاقتراح السيوطي - تحقيق أحمد محمد قاسم - مطبعة السعادة - القاهرة 1976 م
- تاريخ اللغات السامية أ. ولنسون - دار القلم - بيروت 1980 م.
- الخصائص ابن جني - تحقيق محمد علي النجار - ط الثانية - مطبعة دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت.
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني د. حسام النعيمي - دار الرشيد بغداد 1980 م.
- دلالة الألفاظ د. ابراهيم أنيس ط الثالثة - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة 1976 م.
- الصاجي في فقه اللغة أحمد بن فارس - تحقيق أحمد صقر مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة 1977 م.
- العربية يوهان فك - ترجمة عبد الحليم النجار. مطبعة دار الكتاب العربي - القاهرة 1951 م.
- علم اللغة د. علي عبد الواحد وافي ط السابعة دار النهضة القاهرة.
- علم اللغة مقدمة للقارىء العربي الدكتور محمود السعران - دار المعارف - القاهرة 1962م.
- علم اللغة العربية د. محمود فهمي حجازي وكالة المطبوعات - الكويت 1973 م.
- عن اللغة والأدب والنقد د. محمد أحمد العزب ط الثانية - مؤسسة الرسالة - بيروت 1980 م.
- في علم اللغة العام د. عبد الصبور شاهين ط. الثانية مؤسسة الرسالة بيروت 1980 م.

- اللغة بين القومية والعالمية د. ابراهيم أنيس - دار المعارف - القاهرة 1970 م.
- اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة 1973 م.
اللغة في المجتمع م. م. لويس ترجمة تمام حسان - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة 1959 م.
- مناهج البحث في اللغة د. تمام حسان دار الثقافة - الدار البيضاء 1979 م.
- مدخل إلى علم اللغة د. محمود فهمي حجازي دار الثقافة - القاهرة 1978 م.
- المزهر السيوطي تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة.

د. ص. ف